السرايا والبعوث

قال ابن جرير في تاريخ الرسل والملوك ج ٣: [واختلف في عدد سراياه ﷺ، حدثنا محمد بن حُميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: كانت سرايا رسول الله ﷺ وبعوثه ـ فيما بين أن قدم المدينة وبين أن قبضه الله ـ خمساً وثلاثين بعثاً وسرية][(١)].

ـ سرية (عبيدة بن الحارث) إلى أحياء من ثنية المَرَة، وهو ماء بالحجاز.

ـ غزوَة (حمزة بن عبد المطلب) إلى ساحل البحر، من ناحية العيص ـ وبعض الناس يقدم غزوة (حمزة) قبل غزوة (عبيدة).

ـ غزوة (سعد بن أبي وقاص) إلى الخَرَّار من أرض الحجاز.

ـ غزوة (عبد الله بن جحش) إلى نخلة.

ـ غزوة (زيد بن حارثة) القَرْدَة؛ ماء من مياه نجد.

ـ غزوة (مرثد بن أبي مرثد الغَنَويّ) الرَّجِيعَ.

ـ غزوة (المنذر بن عمرو) بئر معونة.

ـ غزوة (أبي عبيدة بن الجراح) إلى ذي القَصَّة، من طريق العراق.

---

(١) ابن هشام من رواية البكائي عن ابن إسحاق: «ثمانياً وثلاثين، من بين بعث وسرية» انظر تاريخ الطبري.

ـ غزوة (عمر بن الخطاب) تُرَبَة من أرض بني عامر.

ـ غزوة (علي بن أبي طلب) اليمن.

ـ غزوة (غالب بن عبد الله الكلبي) ـ كلب ليث ـ الكَدِيدَ، وأصاب بلْمُلَوَّح.

ـ غزوة (علي بن أبي طالب) إلى بني «عبد الله بن سعد» من أهل فَدَك.

ـ غزوة (أبي العوجاء السُّلَمِيِّ) أرض بني «سُلَيْم»، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً.

ـ غزوة (عكَّاشة بن مِحْصَن) الغَمْرَة.

ـ غزوة (أبي سلمة بن عبد الأسد) قَطَناً؛ ماء من مياه بني أسد من ناحية نجد، قُتِلَ فيها «مسعود بن عروة».

ـ غزوة (محمد بن مسلمة)؛ أخي بني الحارث إلى القُرطَاء من هَوَازن.

ـ غزوة (بشير بن سعد) إلى بني مُرَّة بفَدَك.

ـ غزوة (بشير بن سعد) أيضاً إلى يُمْن وجَناب؛ بلد من أرض خيبر ـ وقيل: يُمْن وجَبَار، أرض من أرض خيبر.

ـ غزوة (زيد بن حارثة) الجَمُومَ؛ من أرض بني سُلَيْم.

ـ غزوة (زيد بن حارثة) أيضاً، جُذَام من أرض حِسْمَى.

ـ غزوة (زيد بن حارثة) أيضاً وادي القُرَى، لَقِيَ بني فزارة.

ـ غزوة (عبد الله بن رواحة) خيبر مرتين، إحداهما التي أصاب فيها «يُسَيْرَ بن رَزَام»، وكان من حديث «يُسَيْرَ بن رزام» اليهودي أنه كان بخيبر يجمع «غَطَفَانَ» لغزو رسول الله ﷺ، فبعث إليه رسول الله ﷺ (عبد الله بن رواحة) في نفر من أصحابه؛ منهم «عبد الله بن أُنَيْس» حليف «بني سَلَمَة»،

obeikandl.com

فلما قدموا عليه كلموه، وواعدوه، وقَرَّبوا له: إنك إن قدمت على رسول الله ﷺ استعملك وأكرمك؛ فلم يزالوا به حتى خرج معهم في نفر من يهود، فحمله «عبد الله بن أُنَيْس» على بعيره وردفه، حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر على ستة أميال، ندم «يُسَيْر بن رَزَام» على سيره إلى رسول الله ﷺ، ففطن له «عبد الله بن أُنَيْس» وهو يريد السيف، فاقتحم به؛ ثم ضربه بالسيف فقطع رجله، وضربه «يُسَيْرُ» بِمِخْرَشٍ[1] في يده من شَوْحَطٍ[2]، فأَمَّهُ[3] في رأسه، وقتل الله «يُسَيْرَ»، ومال كل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على صاحبه من يهود فقتله إلا رجلاً واحداً أفلت على راحلته، فلما قدم «عبد الله بن أُنَيْس» على رسول الله ﷺ تَفَل على شَجَّته فلم تقح ولم تؤذه.

- غزوة (عبد الله بن عتيك) إلى خيبر، فأصاب بها «أبا رافع»، وقد كان رسول الله ﷺ بعث (محمد بن مسلمة) وأصحابه - فيما بين (بدر) و(أحد) - إلى «كعب بن الأشرف» فقتلوه.

- بعث رسول الله ﷺ (عبد الله بن أُنَيْس) إلى «خالد بن سفيان بن نُبَيْحٍ الهذلي» - وهو بنخلة أو بُعَرَنة يجمع لرسول الله ﷺ ليغزوه فقتله.

- غزوة (زيد بن حارثة)، و(جعفر بن أبي طالب) و(عبد الله بن رواحة) إلى «مؤتة» من أرض الشام.

- غزوة (كعب بن عمير الغفاري) بذات أطلاح من أرض الشام، فأصيب بها هو وأصحابه.

- غزوة (عيينة بن حصن بني العنبر) من بني تميم؛ وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ بعثه إليهم، فأغار عليهم، فأصاب منهم ناساً، وسبى منهم سبياً.

---

(١) المِخْرَش: المحجن.
(٢) الشَّوْحَط: شجر النبع.
(٣) أمَّه: جرحه في أم رأسه.

ـ غزوة (غالب بن عبد الله الكلبي) ـ كلب ليث ـ أرض بني مُرَّة؛ فأصاب بها «مرداس بن نهيك» حليفاً لهم من الحرقة من جهينة، قتله «أسامة بن زيد» ورجل من الأنصار، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ لأسامة: مَنْ لك بلا إلٰه إلا الله.

ـ غزوة (عمرو بن العاص) ذات السلاسل.

ـ غزوة (ابن أبي حدرد) وأصحابه إلى بطن (إِضَم).

ـ غزوة (ابن أبي حدرد) الأسلمي إلى الغابة.

ـ غزوة (عبد الرحمٰن بن عوف).

ـ بعث سرية إلى سيف البحر، وعليهم (أبو عبيدة بن الجراح) وهي غزوة الخبط.

وروي عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم، قال: سمعت منه أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة، وحجَّ بعدما هاجر حجة، لم يحج غير حجة الوداع. وذكر ابن إسحاق حجَّة بمكة[1].

قال أبو إسحاق. فسألت زيد بن أرقم: كم غزوت مع رسول الله ﷺ؟ قال: سبع عشرة.

وروي عن مكحول في ذلك ما حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد. قال: أخبرنا ابن عمر، قال: حدثني سويد بن عبد العزيز، عن النعمان بن المنذر، عن مكحول، قال: غزا رسول الله ﷺ ثماني عشرة غزوة؛ قاتل من ذلك في ثمان غزوات، أولهن بدرٌ وأُحُدٌ والأحزابُ وقريظةُ. قال الواقدي: فهذان الحديثان، حديث زيد بن الأرقم، وحديث مكحول جميعاً غلط.

وسنُفصِّل القول في الغزوات والسرايا بعد أن نعلم كيف قوي

(١) تاريخ الطبري: (٣/ ١٥٨).

obeikandl.com

الإسلام؟ وكيف اشتد عوده؟ وكيف أصبح في عزٍّ ومنعة؟ وكيف خرج إلى العلن بعد أن كان محاطاً بالكتمان والضعف؟ بسبب قلة أتباعه، ولكونهم من المستضعفين، وأن أكثرهم من الموالي والعبيد، الواقعين تحت سلطان أسيادهم، والخاضعين لجبروتهم واستبدادهم.

obeikandl.com

إسلام «حمزة بن عبد المطلب» رضي الله عنه

كان المسلمون الأولون يعانون من جور قريش وطغيانها، وبغيها وعدوانها، وإذلالها وهوانها الشيء الكثير، مما اضطرهم إلى ممارسة شعائر دينهم الحنيف في سرية ومعزل عن عيون قريش ورقبائها، واحتملوا ألوان البطش والعذاب، عارية أجسادهم في الشمس المحرقة، على الرمال الملتهبة، والصخور فوق صدورهم، يسلقون بالسياط حيناً، وتكوى أجسامهم حيناً بأسياخ الحديد المحماة حتى تنبعث منهم روائح شواء تزكم الأنوف، وتثير في النفوس الغثيان، ولم يكن رسول الله ﷺ - يومئذٍ - يملك لهؤلاء المعذبين في الله إلا الدعاء إلى رب العزة ليثبتهم على دينه، وأن يأمرهم بالصبر والصمود أمام جبروت المتكبرين، أعداء الله والدين. وبدأت بوادر الفرج تظهر حين أسلم «حمزة بن عبد المطلب» عم رسول الله ﷺ، ولكن كيف هدى الله «حمزة» للإسلام، وجعله عدواً للأصنام، متنكراً لدين آبائه ومعتقدات أجداده؟

إن الجواب على تساؤلنا ذكره (ابن هشام) في «السيرة النبوية»[1] التي صَنَّفها، فلننصت لما قال: [قال ابن إسحاق: حدثني رجل من أَسْلَمَ، كان واعيةً: أن «أبا جهل» مَرَّ برسول الله ﷺ عند الصفا، فآذاه وشتمه، ونال منه بعضَ ما يكره من العيب لدينه، والتضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله ﷺ، ومولاة لعبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة - في مسكن لها - تسمع ذلك، ثم انصرف عنه فعمد إلى نادٍ من قريش عند

(١) السيرة النبوية لابن هشام: (١/٣٣٨).

الكعبة، فجلس معهم، فلم يلبث «حمزة بن عبد المطلب» رضي الله عنه، أن أقبل متوشحاً قوسه، راجعاً من قَنَص له، وكان صاحب قَنَص يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمرَّ على نادٍ من قريش إلا وقف وسلَّم، وتحدَّث معهم، وكان أعزَّ فتًى في قريش، وأشدَّ شكيمة، فلما مَرَّ بالمولاة، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له:

يا أبا عمارة! «لو رأيت ما لقي ابن أخيك «محمد» آنفاً من «أبي الحكم بن هشام» وجده هاهنا جالساً فآذاه وسبه، وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه، ولم يكلمه «محمد» ﷺ.

فاحتمل «حمزة» الغضب، لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى، ولم يقف على أحد، مُعِدًّا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به؛ فلما دخل المسجد، نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه، رفع القوس، فضربه بها، فشجَّه شجَّةً منكرةً، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه، أقول ما يقول؟ فرُدَّ ذلك عليَّ إن استطعت، فقامت رجال من بني مخزوم إلى «حمزة» لينصروا «أبا جهل»؛ فقال «أبو جهل»: دعوا «أبا عمارة»، فإني، والله! قد سببت ابن أخيه سبًّا قبيحاً، وتمّ «حمزة» على إسلامه، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قوله.

فلما أسلم «حمزة» عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عَزَّ وامتنع، وأن «حمزة» سيمنعه، فكفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه].

وزاد غير ابن إسحاق في إسلام «حمزة» أنه قال:

لما احتملني الغضب، وقلت: أنا على قوله، أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي، وبتُّ من الشك في أمر عظيم، لا أكتحل بنوم، ثم أتيت الكعبة، وتضرعت إلى الله سبحانه! أن يشرح صدري للحق، ويذهب عني الريب، فما استتمت دعائي حتى زاح عني الباطل، وامتلأ قلبي يقيناً، فغدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما كان من أمري، فدعا لي بأن يثبتني الله.

و«حمزة» رضي الله عنه، أخ لرسول الله ﷺ من الرضاعة، أرضعتهما «ثويبة»، وكانت مولاة لأبي لهب، عم رسول الله ﷺ، وحين أسلم «حمزة» رضي الله عنه، قال أبياتاً، منها:

حَمِدْتُ الله حين هدى فؤادي ... إلى الإسلام والدين الحنيفِ
لدين جاء من ربٍّ عزيزٍ ... خبيرٍ بالعباد بهم لطيفِ
إذا تليت رسائله علينا ... تحدَّر دمع ذي اللبِّ الحصيفَ
رسائل جاء أحمد من هداها ... بآياتٍ مبينةِ الحروفِ

وفشا الإسلام، وأخذ ينمو ويشتد، وبات أتباعه في ازدياد، وراح الناس يدخلون في دين الله زرافاتٍ ووُحداناً، إنه دين الحق ولا بد للحق من أن يعلو وينتصر ويبقى، لأن البقاء للأصلح، وآية صلاحه للناس أجمعين أنه ليس فكرة ابتدعها واحدٌ من البشر، ولكنه دين متكاملٌ ارتضاه الله لخلقه، وجعله سبباً لسعادتهم في الدنيا، ونعيمهم في الآخرة، ومن أعلم من الخلاَّق بما يصلح لمن خلق! فتبارك الله أحسن الخالقين! قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ونحن قد رضينا بما رضيه الله لنا، رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً، عليها نحيا، وعليها نموت، وعليها نحشر يوم البعث والنشور، إن شاء الله تعالى، رب العرش العظيم!.

ولئن كان إسلام «حمزة بن عبد المطلب» رضي الله عنه قد أعطى الإسلام شحنة قوية، فإن الشحنة الأقوى لم تلبث أن وافته بإسلام «عمر بن الخطاب».

إسلام «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه

كان «عمر بن الخطاب» شديداً على المسلمين إبان جاهليته، ما يفتأ يكيد لهم، ويلحق بهم الأذى، وقد بلغت شدته عليهم غايتها، حين أزمع أن يفتك برسول الله ﷺ ويخلص قريشاً منه ويقضي على دعوته، ولكن لما أراد الله به من كرامته، هداه إلى الحق والرشاد، وجعله من أتباع خير العباد، وبات من صالحي المسلمين، وأحد المقربين من أشرف المرسلين، فكيف أسلم «عمر»؟ وكيف أصبح جبَّار الجاهلية، جباراً في الإسلام على أعدائه من المشركين، متواضعاً ليناً على إخوانه من المؤمنين؟

أخرج «ابن هشام» في سيرته حديثين عن إسلام «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه، من رواية ابن إسحاق[1]، أما الحديث الأول فهو: [قال ابن إسحاق: حدثني عبد الرحمٰن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة، قالت:

والله! إنا لنترحَّل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا، إذ أقبل «عمر بن الخطاب» حتى وقف عليَّ، وهو على شركه، ـ قالت: وكنا نلقى منه البلاء أذًى لنا وشدة علينا ـ قالت: فقال: إنه للانطلاق يا أم عبد الله!. قالت: فقلت: نعم، والله! لنخرجن في أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله مخرجاً.

---

(١) سيرة ابن هشام: (١/٣٨٠).

obeikandl.com

قالت: فقال: صحبكم الله، ورأيت له رقةً لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه ـ فيما أرى ـ خروجنا.

قالت: فجاء عامر بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبد الله! لو رأيت «عمر» آنفاً، ورقته وحزنه علينا، قال: أطمعت في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم، قال: فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب؛ قالت: يأساً منه، لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام]. وأما الحديث الآخر، فهو:

قال ابن إسحاق: [وكان إسلام «عمر» فيما بلغني أن أخته «فاطمة بنت الخطاب»، وكانت عند «سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل»، وكانت قد أسلمت، وأسلم بعلها «سعيد بن زيد» وهما مستخفيان بإسلامهما من «عمر»، وكان «نُعَيْم بن عبد الله النَّحَّام» رجل من قومه، من بني «عدي بن كعب» قد أسلم، وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فرقاً من قومه. وكان «خَبَّابُ بن الأرتِّ» يختلف إلى «فاطمة بنت الخطاب» يقرئها القرآن، فخرج «عمر» يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ، ورهطاً من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند «الصَّفا»، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله ﷺ عمه «حمزة بن عبد المطلب» و«أبو بكر بن أبي قحافة الصديق» و«علي بن أبي طالب»، في رجال من المسلمين ـ رضي الله عنهم ـ، ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، فلقيه «نُعَيْم بن عبد الله»، فقال له، أين تريد يا «عمر»؟ فقال: أريد «محمداً» هذا الصابىء الذي فرَّق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسبَّ آلهتها، فأقتله.

فقال له «نعيم»: والله! لقد غَرَّتْكَ نفسُك من نفسك يا «عمر»، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض، وقد قتلت «محمداً»! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟

قال: وأي أهل بيتي؟ قال: خَتَنُك وابن عمك «سعيد بن زيد بن

عمرو» وأختك «فاطمة بنت الخطاب» فقد والله أسلما، وتابَعَا «محمداً» على دينه، فعليك بهما.

قال: فرجع «عمر» عامداً إلى أخته وخَتَنه، وعندهما «خَبَّابُ بن الأرتِّ» معه صحيفة، فيها: «طه» يقرئهما إياها، فلما سمعوا حسَّ «عمر»، تغيَّب «خبَّاب» في مخدع لهم، أو في بعض البيت، وأخذت «فاطمة بنت الخطاب» الصحيفة فجعلتها تحت فخذها.

وقد سمع «عمر» حين دنا إلى البيت قراءة «خَبَّاب» عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهينمة(١) التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئاً؛ قال: بلى والله! لقد أخبرت أنكما تابعتما «محمداً» على دينه، وبطش بَخَتَنِه «سعيد بن زيد» فقامت إليه أخته «فاطمة بنت الخطاب» لتكفه عن زوجها، فضربها فشجَّها، فلما فعل ذلك، قالت له أخته وخَتَنُه: نعم، قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك.

فلما رأى «عمر» ما بأخته من الدم، ندم على ما صنع، فارعوى، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون آنفاً أنظر ما هذا الذي جاء به «محمد»، وكان «عمر» كاتباً؛ فلما قال ذلك، قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردَّنَّها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك، طمعت في إسلامه، فقالت له: يا أخي، إنك نَجَسٌ، على شركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهر، فقام «عمر» فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها: «طه» فقرأها؛ فلما قرأ منها صدراً، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه!

فلما سمع ذلك «خَبَّابٌ» خرج إليه، فقال له: يا«عمر»! والله! إني لأرجو أن يكون الله قد خَصَّك بدعوة نبيه، فإني سمعته أَمْس وهو يقول: اللَّهم! أيِّد الإسلام، بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب؛ فالله الله يا «عمر»!

(١) الهَيْنَمَةُ: صوت الكلام غير المفهوم.

فقال له عند ذلك «عمر»: فدلَّني يا «خَبَّابُ» على «محمد» حتى آتيَه فأُسْلِمَ، فقال له «خَبَّابٌ»: هو في بيت عند «الصفا» معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ «عمر» سيفه فتوشَّحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته، قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فنظر من خَلل الباب، فرآه متوشحاً السيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ، وهو فَزِعٌ، فقال: يا رسول الله! هذا «عمر بن الخطاب» متوشحاً السيف، فقال «حمزة بن عبد المطلب»: فأْذَنْ له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن كان جاء يريد شَرًّا قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: ائذن له، فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ حُجْزَتَهُ[(١)]، أو بمجمع ردائه، ثم جبذه[(٢)] به جبذةً شديدة، وقال: ما جاء بك يا بن الخطاب؟ فوالله! ما أرى أن تنتهي حتى يُنْزِلَ الله بك قارعة[(٣)]. فقال «عمر»: يا رسول الله! جئت لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله.

قال: فكبَّر رسول الله ﷺ تكبيرةً عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن «عمر» قد أسلم.

فتفرَّق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم، وقد عَزُّوا في أنفسهم حين أسلم «عمر» مع إسلام «حمزة» وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ، وينتصفون بهما من عدوهم، فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام «عمر بن الخطاب» حين أسلم]. وذكر ابن سنجر في إسلام «عمر» رضي الله عنه، قال:

حدثنا أبو المغيرة، قال: حدثنا صفوان بن عمرو قال: حدثني شريح بن عبيد، قال: قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض رسول الله ﷺ

---

(١) الحجزة: معقد الإزار.
(٢) جَبذه: جَذَبه.
(٣) القارعة: المصيبة.

قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة «الحاقة» فجعلت أتعجب من تأليف القرآن.

قال: قلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠، ٤١]، قال: قلت: كاهن علم ما في نفسي، فقال: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤٢] إلى آخر السورة، قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع، ويذكرون أن «عمر» قال حين أسلم:

الحمد لله ذي المن الذي وجبت ... له علينا أيادٍ ما لها غِيَرُ
وقد بدأنا فكذبنا فقال لنا ... صدق الحديث نبيّ عنده الخبرُ
وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى ... ربي عشية قالوا قد صبا عمرُ
وقد ندمت على ما كان من زللٍ ... بظلمها حين تتلى عندها السورُ
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة ... والدمع من عينها عجلان يبتدرُ
أيقنت أن الذي تدعوه خالقها ... فكاد تسبقني من عبرةٍ دررُ
فقلت: أشهد أن الله خالقنا ... وأن أحمد فينا اليوم مشتهرُ
نبي صدق أتى بالحق من ثقةٍ ... وافى الأمانة ما في عوده خورُ[(١)]

حقاً! إنها لأبيات تعبق برائحة الإيمان الزكية، وتنم عن حسن النية وصلاح الطوية، فهنيئاً لعمر لحوقه بركب خير البرية، المرسل رحمة للبشرية. وها هو ذا «ابن عمر» يحدثنا عن إسلام أبيه «عمر»: قال ابن إسحاق: وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر، عن ابن عمر، قال: لما أسلم أبي عمر قال: أيُّ قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحي[(٢)]، قال: فغدا عليه.

قال عبد الله بن عمر: فغدوت أتبع أثره، وأنظر ما يفعل، وأنا غلام

(١) انظر الروض الأنف للسهيلي.
(٢) هو الشاعر المعروف بجميل بثينة.

أعقِلُ كل ما رأيت، حتى جاءه، فقال له: أعلمتَ يا جميل أني قد أسلمت، ودخلت في دين «محمد»؟

قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجرُّ رداءه، واتَّبعه «عمر» واتَّبعت أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش! وهم في أنديتهم حول الكعبة، ألا إن عمر بن الخطاب قد صَبَا.

قال: ويقول «عمر» من خلفه: كَذَبَ، ولكني قد أسلمت، وشهدت أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وطَلِحَ ـ أعيا ـ، فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم، أو تركتموها لنا، قال: فبينما هم على ذلك، إذ أقبل شيخ عن قريش، عليه حلة حَبِرة، وقميص مُوَشَّى، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبا «عمر»؛ فقال: فَمَهْ، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يُسْلِمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلُّوا عن الرجل، قال: فوالله! لكأنما كانوا ثوباً كَشِطَ عنه، قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت! من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت، وهم يقاتلونك؟ فقال: ذاك، أي بنيّ! العاص بن وائل السهمي.

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم، أنه قال: يا أبت! من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت، وهم يقاتلونك؟ جزاه الله خيراً، قال: يا بني! ذاك العاص بن وائل، لا جزاه الله خيراً.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الرحمٰن بن الحارث عن بعض «آل عمر»، أو بعض أهله، قال: قال «عمر»: لما أسلمت تلك الليلة، تذكرتُ أي أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوةً حتى آتيه فأخبره أني قد أسلمت؟ قال: قلت: أبو جهل ـ وكان «عمر» لحنتمة بنت هشام بن المغيرة ـ قال: فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه.

قال: فخرج إليّ «أبو جهل» فقال: مرحباً وأهلاً بابن أختي، ما جاء

بك؟ قال: جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله «محمد» ﷺ، وصدقت بما جاء به، قال: فضرب الباب في وجهي، وقال: قَبَّحك الله، وقَبَّح ما جئت به.

والحق أن إسلام «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه كان له وقعٌ على قريش أبعد أثراً من وقع الصاعقة، لما تعلم من بأسه وقوة شكيمته. لقد استجاب الله ـ جلَّ في عُلاه ـ لدعوة نبيه ﷺ، وأيَّد دينه بعمر، وأدخله واحة الإسلام الوارفة الظلال، وأصبح أهلها في أحسن حال. لقد نقل إسلام «عمر» مسيرة الإسلام من السر إلى العلانية، وخرج المسلمون من دار الأرقم في صفين يتقدم أولهما «حمزة بن عبد المطلب» ويتقدم ثانيهما (عمر بن الخطاب)، وأمامهم الحبيب الأعظم ﷺ، وكان هذا المشهد الخلاب أكبر تَحَدٍّ لمشركي قريش، وأكابر مجرميها، وباتت قريش من يومها تتجرَّع[1] أمرَّ الكؤوس، ولم تجد غير أن تَصُبَّ جام غضبها على المستضعفين من المسلمين، وبخاصة مواليها وعبيدها، فراحت تنكل بهم، وتتفنَّن في إيذائهم وتعذيبهم، حتى أذِنَ الله لرسوله ﷺ بالهجرة، فآذَنَ أصحابه بذلك، فبدءوا يغادرون مكة المكرمة إلى (يثرب) التي غير رسول الله ﷺ اسمها إلى (المدينة) بعد وصوله إليها، واستقراره فيها، وكان المهاجرون يخرجون في غفلة من سفهاء قريش، وبعيداً عن أعين رقبائها، إلا «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه فقد هاجر جهرة، تحت مسامع قريش وأبصارها، وتحداهم أن يلحقوا به، أو يحاولوا منعه، وأنذرهم سوء العاقبة إذا اعترضوا سبيله، فما خرج وراءه أحد، لما كانوا يعرفون من شدة بأسه وجبروته. وهاهو ذا «علي بن أبي طالب» يروي لنا ما صنعه «عمر» يوم هجرته، فيقول:

(ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا مستخفياً، إلا «عمر بن الخطاب»، فإنه لما هَمَّ بالهجرة، تقلَّد سيفه، وتنكَّب قوسه، وانتضى في يده أسهماً ـ أي: أمسك ـ، واختصر عَنَزَتَهُ ـ أي: وضع على خصره عصاً لها

---

(١) تتجرع: تشرب.

زُجٌّ كالرمح الصغير ـ ومضى قِبَلَ الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعاً متمكناً، ثم اتجه إلى المقام فصلَّى، ثم وقف على الحِلَقِ واحدةً واحدةً يقول لهم: «شاهت الوجوه، لا يرغم الله ـ أي: لا يُذِلُّ ـ إلاّ هذه المعاطس ـ أي: الأنوف ـ ، من أراد أن يثكل أمه، ويوتم ولده، ويرمِّل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي».

ثم انطلق «عمر» ومعه بعض المستضعفين الذين استتروا بقوته، وأتم هجرته، ولم يتبعه أحد من المشركين، لشدة مهابته. وجاء في قصيدة مطولة للشاعر «محمد راجي حسن كناس» عن مناقب الخلفاء الراشدين الأربعة ـ رضي الله عنهم ـ هذه الأبيات:

ويا أيها الفاروق يا نَجْرَ[1] عِزِّنا … وأزهد مسئولٍ بأرقى المناصبِ
عليك سلام الله في كل بُكْرَةٍ … وحين تميل الشمس نحو المغاربِ
أعزَّ بك الإسلامَ ربي وصانه … ولولاك ما أضحى له عِزٌّ جانبِ

رحم الله «عمر» رحمة واسعة، وكفاه قول سيد البشر: (لو كان بعدي نبي لكان عمر).

ونزل قول الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. ثم غادر المهاجرون ديارهم في مكة المكرمة ـ حرسها الله تعالى، إلى المدينة ـ صانها الله تعالى، ثم لحق بهم رسول الله ﷺ وصاحبه «أبو بكر الصديق» رضي الله عنه، وقد أعد الأنصار لأعز الضيوف أروع استقبال، ونزل ﷺ ضيفاً على «خالد بن زيد» المعروف بأبي أيوب الأنصاري، وبعد استراحة قصيرة غَيَّر اسم (يثرب) إلى (المدينة)، ثم أمر ببناء مسجده الشريف، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وبدأ يرسي قواعد الدولة الإسلامية، وروح القدس (جبريل) عليه السلام، رائح غدَّاء، بين الأرض والسماء، يأتيه بالوحي من رب العزة، ويبلغه أحكام الدين القويم.

(١) النَّجْرُ: الأصل.

خيبة قريش وعمائها لخروجه ﷺ من بينهم سالماً

ولما أعيت قريشاً وسائل التعذيب التي أنزلوها بالمسلمين، تداعى زعماؤها للتشاور بشأن النبي الكريم ﷺ، وما جرَّته عليهم دعوته، وأدلى كل بدلوه خلال اجتماعهم في (دار الندوة) التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها، فمنهم من رأى حبسه في الحديد، وإغلاق الباب عليه حتى يأتيه الموت، ومنهم من اقترح نفيه فيستريحون منه، ومنهم، ومنهم، حتى إذا تشعَّبت الآراء، وتباينت الأهواء، ولم يتفقوا على رأي، قال أخبثهم وأشقاهم «أبو جهل» ـ أخزاه الله ـ:

(والله! إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد! قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جَلْداً، نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يَعْمِدون إليه، ثم يضربونه بها ضربة رجل واحد فيقتلونه، فنستريح، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرَّق دمه في القبائل كلها، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، ورضوا منا بالعَقْل ـ أي: الدية ـ فعقلناه لهم)[1].

حقاً! إنها لفكرة خبيثة، لا تصدر إلا عن أخبث الخبثاء. ومن أليق من «أبي جهل» بهذا الوصف المقيت؟

وراقت لهم الفكرة، ثم تفرقوا وهم على تنفيذها مجمعون، ولم يخف أمرهم على الذي في السماء، فأرسل لرسوله ﷺ سفيره (جبريل) عليه السلام

---

(١) انظر تاريخ الطبري: (٢/٣٧١).

obeikandl.com

بخبرهم، وقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه! ولما أقبل الليل جاءوا إلى بابه ينتظرون متى ينام فيثبون عليه. فلما رآهم رسول الله ﷺ، أمر «علي بن أبي طالب» - رضي الله عنه - أن ينام على فراشه، ويتشح ببرده الحضرمي الأخضر، حتى يظنوه رسول الله ﷺ وطمأنه بألا يصل إليه ما يكرهه منهم، وكيف يصل إليه ما يكرهه وهو ينفذ أمر من هو متصل بالسماء؟

يقول أبو جعفر الطبري[1] عن ابن حُميد، قال: [حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظيِّ، قال: اجتمعوا له، وفيهم «أبو جهل بن هشام»، فقال وهم على بابه: إن «محمداً» يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان لكم منه ذبح، ثم بعثتم بعد موتكم، فجعلت لكم نار تحرقون فيها. قال: وخرج رسول الله ﷺ، فأخذ حفنة من تراب، ثم قال: نعم، أنا أقول ذلك، أنت أحدهم، وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم، وهو يتلو هذه الآيات من يسٓ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يسٓ: ١ - ٩]، حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات، فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: «محمداً»، قال: خيَّبكم الله! قد والله خرج عليكم «محمد»، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يطَّلعون، فيرون (علياً) على الفراش متسجِّياً ببرد

(١) تاريخ الطبري: (٢/٣٧٢).

رسول الله ﷺ، فيقولون: والله! إن هذا «لمحمد» نائم، عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام (علي) عن الفراش، فقالوا: والله! لقد صَدَقنا الذي كان حدثنا، فكان مما نزل من القرآن في ذلك اليوم، وما كانوا أجمعوا له: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الطور: ٣٠ ـ ٣١].

وهكذا نجّى الله تعالى نبيه ورسوله ﷺ، من مكر الماكرين، وغدر الغادرين، وإخوان الأبالسة والشياطين، وحاق المكر السيىء بأهله، والحمد لله رب العالمين.

Obeikandl.com

إعداد السرايا والجيوش لحرب الكفار والمشركين

وفي مدينة رسول الله ﷺ بدأ إعداد السرايا والجيوش لقتال الكفار والمشركين، وسائر أعداء الله والدين، حتى تختفي معالم الأصنام، وترتفع رايات الإسلام، وينتشر دين الله في كل مكان، ويبلغ نوره سائر البقاع والبلدان.

وكان بدء انطلاق السرايا والجيوش من المدينة المنوّرة في شهر رمضان المبارك من السنة الهجرية الأولى على رأس سبعة أشهر من مُهَاجَر رسول الله ﷺ حيث عقد رسول الله ﷺ لواء أبيض في ثلاثين من المهاجرين لعمه وأخيه «حمزة بن عبد المطلب» ـ رضي الله عنه ـ ليعترض قافلة لقريش، فلقي «أبا جهل» على ساحل البحر الأحمر، في ثلاثمائة رجل، وكان «أبو مرثد» يحمل لواء «حمزة»، ولم ينشب بين الفريقين قتال لأن «مجديَّ بن عمرو الجهني» حجز بينهم، فافترقوا، ويَمَّمَ «أبو جهل» شطر مكة برجاله، وعاد «حمزة» مع أصحابه إلى المدينة. وفي شهر شوال من السنة ذاتها، عقد رسول الله ﷺ لواء أبيض لأبي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وأمره بالتوجه إلى «بطن رابغ» وكان مسطح بن أُثَاثة يحمل اللواء، فلما بلغ ثنية المُرَة ـ بناحية الجحفة ـ ومعه ستون من المهاجرين فحسب، التقوا بأبي سفيان بن حرب ومعه مائتان من المشركين، وكان ملتقاهم على ماء يدعى (أحياء). ووقع بين الطرفين تراشق بالسهام دون المسايفة ـ أي لم تستعمل السيوف في القتال ـ وذكر أن «سعد بن أبي وقاص» رضي الله عنه رمى أول سهم في الإسلام يومئذٍ.

obeikandl.com